Arab Journal of Sciences & Research Publishing (AJSRP) • Vol 11, Issue 2 (2025) • P: 64 - 51
https://journals.ajsrp.com/index.php/ajsrp
ISSN: 2518-5780 (Online) • ISSN: 2518-5780 (Print)

The pragmatic dimension of pronunciation in The Maqamat of Badi' Al-Zaman Al-Hamdhani- the Maqamat Al-Harziyya as an example

Ms. Alia Ali Saeed Alketbi *, Dr. Muhammad Hilmi bin Abdullah bin Jaafar
Faculty of Languages and Communications | Sultan Idris University of Education | Malaysia

Received: 09/12/2024
Revised: 21/12/2024
Accepted: 10/03/2025
Published: 15/06/2025

* Corresponding author: aliaalketbi79@gmail.com

Citation: Alketbi, A. A., & Jaafar, M. H. (2025). The pragmatic dimension of pronunciation in The Maqamat of Badi' Al-Zaman Al-Hamdhani - The Maqamat Al-Harziyya as an example. *Arab Journal of Sciences & Research Publishing, 11*(2), 51 – 64. https://doi.org/10.26389/AJSRP.K111224

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The research explores the theory of performativity and its relationship to pragmatics in the study of language and communication. Performativity theory focuses on language as a communicative tool used in specific contexts, revealing the speaker's stance through their linguistic choices and structures. It also highlights the importance of the relationship between the speaker and the social context in determining the meaning of the text. Through the analysis of Al-Harzi's maqama, it became evident that language is not merely a tool for transmitting information, but also a tool for interaction and influence. The research also showed that the social context plays a crucial role in shaping the meaning of the text and that performativity directly impacts the reading experience. The study emphasized the importance of viewing literary texts as an integrated artistic work that interacts with the reader on multiple levels. The research adopted a critical analytical approach based on three levels: linguistic structure, textual meaning, and communicative function. It also uses theories of enunciation and pragmatics to understand the nature of creative discourse and the role of speech acts in influencing the recipient. Thus, it aims to present a new vision that highlights the depth and authenticity of the Arab literary heritage in light of modern linguistic approaches.

Finally, the research concluded with a set of recommendations, including the need for broader comparative studies, the development of new analytical tools, and the integration of performativity and pragmatics concepts into educational curricula.

Keywords: Articulation theory- pragmatics- speech acts- Al-Harziyya Maqama- literary text- Badi' Al-Zaman Al-Hamadhani.

البُعد التّداولي للتلفظ في مقامات بديع الزّمان الهمذاني- المقامة الحرزية أنموذجًا

أ. علياء علي سعيد الكتبي*، د/ محمد حلمي عبد الله جعفر
كلية اللغات والاتصالات | جامعة السلطان إدريس التربوية | ماليزيا

المستخلص: يتناول البحث نظرية التلفظ وعلاقتها بالتداولية في دراسة اللغة والتواصل؛ إذ تركز نظرية التلفظ على اللغة بوصفها أداة تواصلية تُستخدم في سياقات معينة وتكشف عن موقف المتكلم من خلال اختياراته اللغوية والتراكيب، كما تبرز أهمية العلاقة بين المتكلم والسياق الاجتماعي في تحديد معنى النص، ومن خلال تحليل المقامة الحرزية، اتضح أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل هي أداة للتفاعل والتأثير، كما أظهر البحث أن السياق الاجتماعي يلعب دورًا حاسمًا في تشكيل معنى النص، وأن التلفظ يؤثر بشكل مباشر على تجربة القراءة، وأكد البحث على أهمية النظر إلى النص الأدبي كعمل فني متكامل يتفاعل مع القارئ على عدة مستويات، وفي ضوء ذلك، اعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا يرتكز على ثلاث مستويات: البنية اللغوية، والدلالة النصية، والوظيفة التواصلية، كما يستعين بنظريات التلفظ والتداولية لفهم طبيعة الخطاب الإبداعي، ودور الأفعال الكلامية في التأثير على المتلقي وبذلك يهدف إلى تقديم رؤية جديدة تُبرز عمق التراث الأدبي العربي وأصالته في ضوء المقاربات اللغوية الحديثة، وفي النهاية توصل البحث إلى مجموعة من التوصيات، منها: ضرورة تطوير أدوات تحليلية جديدة، ودمج مفهومي التلفظ والتداولية في المناهج التعليمية، إضافة إلى مقترح بإجراء دراسات مقارنة أوسع نطاقًا..

الكلمات المفتاحيّة: نظرية التلفظ-التداولية- الأفعال الكلامية- المقامة الحرزية- النص الأدبي- بديع الزمان الهمذاني.

1- المقدمة.

يُعدّ التلفظ من أبرز المفاهيم اللغوية الحديثة التي تجمع بين البعدين اللغوي والاجتماعي؛ فهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق والمقام الذي يتم فيه إنتاج النصوص وفهمها، وقد أصبحت دراسة التلفظ ضرورة مُلحة في تحليل النصوص الأدبية لاسيما تلك التي تتميز بتنوع أساليبها وشموليتها للسياقات المختلفة، وعليه، يُعد نص المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني نموذجًا غنيًا بالدلالات التداولية التي تجعلها ميدانًا خصبًا لدراسة التلفظ بوصفه أداة لفهم أبعاد النص الأدبي، وتكمن أهمية الموضوع في توظيف التلفظ للكشف عن التفاعل بين المتكلم والمتلقي، والعوامل السياقية التي تؤثر على فهم النصوص.

وقد انطلقت نظرية التلفظ من جهود روّاد مثل ميخائيل باختين وإميل بنفينيست، الذين أكدوا على العلاقة الوثيقة بين اللغة والسياق الاجتماعي، وعدّوا التلفظ عملية لغوية تعكس الذات المتكلمة وتفاعلها مع العالم، ومن جهة أخرى، تقترن هذه النظرية بالتداولية التي تُعنى بدراسة استعمال اللغة في الخطاب وتحليل وظائفها التواصلية والاجتماعية، ويمثل نص المقامة الحرزية ميدانًا تطبيقيًا لهذه النظريات، نظرًا لما يزخر به من مؤشرات لسانية وإشارات سياقية تعكس تجربة تواصلية مركبة بين السارد والمتلقي.

وبناء على ما سبق، يسعى هذا البحث إلى دراسة البعد التداولي للتلفظ في نص المقامة الحرزية من خلال الكشف عن الآليات اللغوية والتواصلية المستخدمة لتحديد أطراف العملية التلفظية وسياقها.

2- منهجية الدراسة.

واعتمدت هذه الدراسة على منهج تحليلي نقدي ثلاثي المستويات، يرتكز على البنية اللغوية، والدلالة النصية، والوظيفة التواصلية، مستندًا إلى نظريات التلفظ والتداولية، وقد تم اختيار نص "المقامة الحرزية" لبديع الزمان الهمذاني كنموذج تطبيقي لهذه المنهجية، نظرًا لغناه بالدلالات التداولية وتنوع أساليبه وشموليته للسياقات المختلفة ما يجعله ميدانًا خصبًا لدراسة التلفظ.

وقد تم تحليل النص باستخدام أدوات التحليل النصي، مثل الجداول والأمثلة، للكشف عن الآليات اللغوية والتواصلية المستخدمة في تحديد أطراف العملية التلفظية وسياقها، ودور الأفعال الكلامية في التأثير على المتلقي، وتهدف الدراسة إلى تقديم رؤية جديدة تُبرز عمق التراث الأدبي العربي وأصالته في ضوء المقاربات اللغوية الحديثة، مع التركيز على الكشف عن التفاعل بين المتكلم والمتلقي، والعوامل السياقية التي تؤثر على فهم النص.

3- الدراسات السابقة.

وقد تناولت العديد من الدراسات قضية التلفظ، ومن هذه الدراسات ما يلي:

1- أحسن، بو راس. (2023). الراوي داخل المحكي في المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني، المجلد (11)، العدد (1).

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى توضيح مكانة الراوي داخل المحكي في المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني، وحاول فيها الباحث إبراز علاقة الراوي الرئيسي بالرواة الآخرين، بالإضافة إلى علاقته بالمروي، أو الحكاية المحكية في المقامة، كما سعت الدراسة إلى توضيح موقعه ورؤيته للعالم، بالإضافة إلى محاولة إماطة اللثام عن تجليات هذا النوع من الرواة داخل السرد بشكل عام، وداخل المقامة بشكل خاص من خلال الجانب التطبيقي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: كل الشخصيات الحكائية الواردة في المقامات- ومنها البغدادية- ما هي إلا أقنعة يعبر من ورائها الهمذاني عن مواقفه وآرائه، وهي كذلك مستويات إدراكه لهذه الحياة المليئة بالمتناقضات.

كما عبر من خلالها على اهتزازات قيم مجتمعه ومفاهيمه، وهذه البراعة في التخفي والتعبير بأصوات متعددة ومختلفة، ومن مواقع متباينة جاءت نتيجة للبراعة الفنية والأدبية التي تميز بها هذا الكاتب، وحسن لعبه الفني، كما أن إعطاء تسمية للشخصيات يمنحها استقلالية داخل الحكاية وبذلك يسهل عملية التعرف عليها على الرغم من كونها متخيلة؛ لأنها غير معروفة تاريخيًا، وليست شخصية حقيقية، وقيمتها ووجودها حققتهما من خلال الوظيفة التي أدتها داخل المقامة، وتشير نتائج الدراسة إلى أن الراوي داخل المحكي يمثل وضعًا ثانيًا للراوي في المقامات، ساهم بقدر وافر في تشكيل البنية السردية للمقامة، ومنح لها مبدأ الحكي داخل الحكي، كونه شاهدا وفاعلا في الحكاية، كما أنه يعيد رواية هذه الحكاية.

وكان للراوي في المقامة مجموعة من الأدوار؛ فكان بمثابة قناع آخر تستر وراءه الهمذاني، ومرر خطابه عبر صوته، كما ترجم مواقفه تجاه ما كان يحصل داخل المجتمع في تلك الحقبة، من موقع معلوم وبارز، مارس من خلاله سلطة الخطاب، وكشف عن رؤية جمالية للعالم الفني داخل المقامات.

2- الكحلاوي، محمد حبيب. (2023). مقاربة تلفظية للنفي في العربية الفصحى. مجلة العلوم الإنسانية. جامعة السلطان قابوس: عمان.

تهدف هذه الدراسة إلى إعادة النظر في عملية النفي في العربية الفصحى وذلك من منظور تلفّظي يولي أهمّية للعوامل السياقية ودور المتلفّظ، مشافهة أو كتابة، في إنتاج وتلقّي الملفوظات المنفية، وقد بنيت الدراسة على فرضية أنّ استراتيجية المتلفظ الصّياغية هي مفتاح فهم

منطق النفي في العربية، وبالرّغم من الثراء الميتالغوي للنفي في العربية الفصحى مقارنة باللغة الإنجليزية مثلا، فإنّ البحث في هذه العملية النحوية ظلّ مكتفيا بإسهامات النحاة الأوائل مثلما صيغت منذ قرون؛ وهذا ما يفسّر هيمنة المقاربة التقليدية على النحو التعليمي.

وتبين الدراسة أنّ من أوجه قصور المقاربتين المعيارية والوصفية شحن أدوات النفي المفرغة من المعنى بدلالات زمنية، فإنّها تطرح رؤية مغايرة لعمل أدوات النفي، استنادا إلى منهجية تلفّظية مقارنة ضمن عملية النفي وبين النفي ونظيره القطبي "الإثبات"، وأمكن التفريق بين طورين للنفي، المجرّد والتصويغي (modalising)؛ إذ يرد الأوّل في سياقات الاستراتيجية الإفادية التي تحيل على مجرّد انتفاء العلاقة الإسنادية؛ في حين يرد نفي الطور الثاني ضمن استراتيجية تصويغية يكون فيها للفاعل اللغوي، أي المتلفظ، الدور الرّئيس في صياغة المعنى.

ويمكن ربط دراستي الحالية بعملية النفي في العربية الفصحى من خلال تحديد دور ضمير المتكلم في الملفوظ عبر النظر إلى كيفية تأثير هذا الضمير على عملية النفي والمعاني المتناولة؛ إذ يعد ضمير المتكلم جزءًا أساسيًا من السياق اللغوي ويسهم في تشكيل المعنى وفهم الملفوظات المنفية.

فهذه الدراسة تستند إلى فرضية حول استراتيجية المتلفظ الصياغية كمفتاح لفهم منطق النفي، وبذلك يمكن أن يؤدي ضمير المتكلم دورًا حيويًا في توجيه وتحديد استراتيجيات النفي؛ إذ يمكن أن يؤثر استخدام ضمير المتكلم على كيفية فهم الملفوظات المنفية، سواء كان ذلك من خلال التأكيد على وجهة نظر المتكلم أو تحديد المواقف الشخصية.

فتوجيه الدراسة نحو تحليل دور ضمير المتكلم في عملية النفي يمكن أن يسلط الضوء على كيفية تفاعل المتحدث مع المحتوى المنفي، وكيف يؤثر هذا الفهم على السياق اللغوي الكلي، فعلى سبيل المثال، هل يعزز ضمير المتكلم فهم المتلقي للنفي أو يُظهر الترابط بين موقف المتكلم واستراتيجياته في صياغة المعنى؟

3- الطاهري، بديعة. (2020). مدخل إلى دراسة المتكلم في بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني: الموقع والوظائف. منشورات مخبر تحليل الخطاب. المجلد (15). العدد (2).

سعت هذه الدراسة إلى توضيح مدى صلاحية المفاهيم التي يملكها حقل المحكي التراثي؛ إذ هدفت إلى بيان ماهية المتكلم في المقامة، ووظيفته فيها، وهل للهمذاني دور فيها أم يمكن استبعاده كما هو الحال في النصوص السردية الروائية، كما تهدف إلى تحديد وضعية هذا المتكلم، وهل يعد انتقال السرد من مستوى إلى آخر مجرد اختيار فني أم يخضع لضرورة دلالية، كما وضحت الدراسة خصائص البنية النصية للمقامة، ووضعية السارد، وطرق السرد في المقامة فضلًا عن وظيفة السارد.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن للمقامة بنيات مختلفة فالبنية السردية فيها مركبة؛ إذ يلاحظ وجود تعدد صوتي لتعدد المتكلمين وبذلك يكون المتكلم هو كل شخصية لها صوتها في المقامة، كما رسخت المقامة بنية سردية ثلاثية تعتمد السارد المتباين حكائيًا باعتباره مدخلًا إلى عالم المقامة ومحاكاة لبنية سردية متواترة في السرد العربي القديم والساردين المتماثلين حكائيًا عاكسين تنوعًا صوتيًا يغني البنية السردية، ويحقق ثراؤها الفني.

ويمتد التعدد ليشمل بناء المقامة إذ يخلق لها مسارين: الأول يجعل منها شكلًا يتكرر وهذا ما بيناه انطلاقا من تناوب السرد بين عيسى بن هشام وأبي الفتح، كما يتسم التعدد السردي المقامة بنوع من الموضوعية التي تنبأ بتكافؤ الأصوات السردية، فكل سارد يحكي ما يعرفه أو ما سمعه أو ما يتصل به وذلك بهدف إعطاء مصداقية للمحكي، وهو ما يترسخ انطلاقًا من تواتر فضاءات وشخصيات مرجعية تضفي نوعًا من الواقعية على المقامة، ويختلف الساردان في المقامة في أشياء كثيرة منها: القوة السردية ذلك أن عيسى بن هشام بما له من وظائف سردية متعددة يجعل أبا الفتح دونه منزلة على هذا المستوى، وهذا ما تؤكده المقامات التي يستغني فيها عيسى بن هشام عن أبي الفتح، كما أن أبا الفتح لا يدخل عالم السرد إلا بفضل عيسى ابن هشام. ولذلك يتوزع حضوره بين مسارين مسار يعلنه حاضر منذ بداية المقامة معروفًا لدى المتلقي وآخر يؤخر ظهوره إلى منتصف المقامة والتعرف عليه إلى نهايتها.

3-2-التعليق على الدراسات السابقة:

تعد الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التلفظ في الأدب العربي، لا سيما في المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني، حجر الأساس لفهم دور اللغة والسياق في تشكيل المعنى السردي والتواصلي؛ فقد سلطت دراسة "أحسن، بو راس" الضوء على مكانة الراوي في المقامة الحرزية وعلاقته بالمروي إذ أظهرت كيف تعكس الشخصيات الحكائية مواقف الهمذاني تجاه القيم المجتمعية، واعتبرت أن الراوي يعد وسيلة لتوجيه رسالة اجتماعية عبر "الأقنعة" السردية، أما دراسة "الكحلاوي" فقد ركزت على دور النفي في اللغة العربية من خلال منظور تلفظي، مشيرة إلى كيفية تأثير سياق المتكلم على تفسير الملفوظات المنفية، وهو ما يتماشى مع البحث الحالي الذي يدرس التأثير التداولي للتلفظ، بالإضافة إلى ذلك، أظهرت دراسة "الطاهري" أهمية تعدد الأصوات السردية في المقامة، فقد أشارت إلى أن التنوع السردي يعزز البنية السردية ويحقق الواقعية داخل النص.

وتتميز الدراسة الحالية بتقديم إضافة فريدة من خلال الدمج بين التحليل النقدي للبنية اللغوية والتداولية مع التركيز على الأفعال الكلامية ووظائفها الاجتماعية فبينما تناولت الدراسات السابقة بشكل أساسي تحليل دور الراوي والأصوات السردية أو بعض الجوانب اللغوية

مثل النفي، يركز البحث الحالي على فهم التلفظ بوصفه أداة تفاعلية تؤثر في المتلقي، وتعتمد على تحليل الأبعاد الاجتماعية والنقدية للغة داخل النص الأدبي، كما أن استخدام منهج تحليلي نقدي يرتكز على مستويات متعددة (البنية اللغوية، والدلالة النصية، والوظيفة التواصلية) يوفر رؤية شاملة وفريدة مقارنة بالدراسات السابقة التي تركز على جانب واحد فقط من السرد أو اللغة.

وعليه، تقدم هذه الدراسة إضافة جديدة من خلال استخدامها لنظريات التلفظ والتداولية مع التركيز على الآليات اللغوية والتواصلية في المقامة الحرزية ما يساهم في توسيع فهمنا للتراث الأدبي العربي من خلال مقاربات لغوية حديثة، وهو ما يميزها عن الدراسات السابقة التي تناولت جوانب مختلفة من النصوص الأدبية ولكن دون التركيز على هذا البعد التفاعلي بين المتكلم والمتلقي.

المبحث الأول: مفهوم التلفظ.

ترتبط نظرية التلفظ بأسماء عديدة من العلماء منهم: ميخائيل باختين، وإميل بنفينيست، ورومان ياكبسون، وتتعامل هذه المقاربة مع النص على أنه أساس ملفوظ سياقي، أي كلام مُستخدم في سياق معين.

وتهتم نظرية التلفظ بأطراف التواصل، وعملية التلفظ، وبالمؤشرات أو المعينات اللسانية التي تعبر عن حضور الأطراف التواصلية أو غيابها، كما تهتم بالمشكلات التلفظية من جهة، والأسلوب غير المباشر الحر من جهة أخرى، وترتبط بمفهوم الذات المتكلمة؛ فالذات المتكلمة هي التي تنتج النص، والتي تؤثر على النص من خلال اختيارها للكلمات والتراكيب اللغوية.

وتركز نظرية التلفظ على السياق الاجتماعي للغة، أي على العلاقة بين اللغة والمجتمع، فاللغة ليست نظامًا ثابتًا، بل هي أداة تستخدم في سياقات مختلفة، ويؤثر السياق الاجتماعي على استخدام اللغة، وتؤثر اللغة بدورها على السياق الاجتماعي.

ويُعد ميخائيل باختين أحد أهم رواد نظرية التلفظ؛ إذ يؤكد على أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي أيضًا وسيلة للتعبير عن الذات، فاللغة تعكس وجهة نظر المتحدث وموقفه من العالم؛ إذ يميز بين الملفوظ والتلفظ، فالملفوظ هو النص نفسه، أما التلفظ فهو العملية التي يتم بها إنتاج النص، ويركز باختين على التلفظ، لأنه يعتقد أن الملفوظ لا يمكن فهمه إلا في سياق التلفظ.

كما يُعد إميل بنفينيست من رواد نظرية التلفظ أيضًا؛ إذ يركز على إشارات التلفظ وعلاماته، فإشارات التلفظ هي العناصر اللغوية التي تشير إلى المتحدث أو المستمع، أما علامات التلفظ فهي العناصر اللغوية التي تشير إلى السياق الاجتماعي. (Agustini، 2025، ص13)

ومن رواد هذه النظرية (رومان ياكبسون) الذي يركز بدوره على مفهوم التواصل؛ إذ يشير إلى أن اللغة هي أداة للتواصل بين البشر، كما يؤكد أن (التواصل) يتكون من ستة عناصر، هي: المرسل والمستقبل والرسالة والوسيط والسياق والهدف. (برزيكو، 2000م، ص4-5)

المبحث الثاني: علاقة التلفظ بالتداولية.

اختلف اللغويون في تعريف مصطلح (التداولية)، ومن أبرز هذه التعريفات ما يلي:

1- عرّفها (شارل مورس) بأنها: "التداوليةُ جزءٌ من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلاماتِ ومُستعملي هذه العلامات". (بوقرة، 2006م، ص176)

2- وعرّفها كل من (آن ماري ديير) و(فرانسوا ريكانتي) بأنها: "دراسةُ استعمالِ اللُّغةِ في الخِطابِ، شاهدةٌ في ذلك على مقدرتها الخطابيَّة"). (بوقرة، 2006م، ص174)

ويمكننا أن نستنتج من هذا التعريف أن التداولية هي الدراسة التي تبحث في معنى العبارات من خلال علاقتها بالسياق الذي يتم التعبير عنها فيه، فهي تشبه علم الدلالة، ولكنها تهتم أيضًا ببعض الأشكال اللغوية التي لا تحدد معانيها إلا من خلال صياغتها التعبيرية.

3- ويرى (فرانسيس جاك) أن التداولية مفهوم يتطرق إلى اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في آن واحد. (بوقرة، 2006م، ص174)

4- ويذهب (فانديك) في تعريفه للتداولية إلى قوله:"التداولية بوصفها علمًا يُعنى بتحليل الأفعال اللغوية، ووظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام، انطلاقا من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال، والتفاعل الاجتماعي". (نحلة، 2002م، ص15)

وبناء على ما سبق، يمكن أن نذكر التعريف الشامل الذي ذكره (مسعود صحراوي)؛ إذ يرى أن التداولية هي "هي مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقاميَّة المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة"، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية". (صحراوي، 2008م، ص3)

المبحث الثالث: علاقة التداولية بمسألة التلفظ.

تسعى المقاربة التلفظية إلى دراسة الخطاب الإبداعي والأدبي من خلال التركيز على المعينات الإشارية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني، وتشمل هذه المعينات ضمائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية (Fayzulloyevna، 2023، ص23)

وبناءً على ذلك، فإن المقاربة التلفظية تنطلق من دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي، وذلك من خلال التركيز على ثلاثة مبادئ منهجية، وهي: البنية، والدلالة، والوظيفة، كما أنها تعتمد على اللسانيات الخارجية ذات البعد المرجعي، مع الانفتاح على التداوليات والسيميوطيقا النصية والخطابية. (حمداوي، د.ت، ص4)

والنص الأدبي ليس مجرد وسيلة للتواصل، بل هو أداة للتأثير على المتلقي، فهو يهدف إلى تغيير أفكاره ومشاعره وسلوكه. ويتحقق ذلك من خلال مجموعة من الأفعال الإنجازية، وهي أفعال كلامية تتجاوز مجرد قول شيء ما إلى تحقيق نتيجة معينة. (الطيبي، 2021م، ص445)

ووفقًا لنظرية الأفعال الكلامية، فإن النص الأدبي عبارة عن ثلاث مستويات متداخلة:

1- فعل القول: وهو المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي للجملة.
2- الفعل المتضمن في القول: وهو الغرض من قول الجملة.
3- الفعل الناتج عن القول: وهو التأثير الذي يتركه القول على المتلقي.

فمثلًا، الجملة "أشكرك يا علي" تحتوي على فعل القول "أشكرك"، والذي يتضمن فعلًا إنجازيًا هو "الشكر"، والذي ينتج عنه فعلًا ناتجًا هو "شكر المخاطب". (جلولي، د.ت، ص56)

وهكذا، فإن النص الأدبي هو فعل كلامي كامل يحقق هدفه من خلال مستوياته الثلاثة المتداخلة.

بالإضافة إلى ذلك، يميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، فالجمل الخبرية هي تلك التي تعبر عن حقيقة ما، مثل: "اليوم هو يوم الخميس"، أما الجمل الإنجازية فهي تلك التي تؤدي فعلًا ما، مثل: "أطلب منك أن تفتح " (البحيري، 2025، ص170).

ويمكن تقسيم الأفعال الإنجازية إلى ثلاثة أنواع:

1. أفعال إنجازية حرفية: وهي التي يكون لها معنى إنجازي واحد، مثل: الأمر، والاستفهام، والتمني.
2. أفعال إنجازية حوارية: وهي التي يكون لها معنى إنجازي يختلف باختلاف السياق، مثل: الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر.
3. أفعال إنجازية اجتماعية: وهي التي ترتبط بعلاقات اجتماعية معينة، مثل: التحية، والشكر، والاعتذار. (جلولي، 2011م، ص54-55)

وتتنوع الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة، فالأقوال الظاهرة هي تلك التي تكون قوة إنجازها واضحة من سياق الجملة، مثل: "افتح الباب!"، أما الأقوال المضمرة فهي تلك التي لا يكون من الواضح ما هي قوتها الإنجازية إلا من خلال فهم السياق، مثل: "أشعر بالبرد الشديد". (حمداوي، د.ت، ص20)

وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيًا آخر غير مباشر يحدده سياق القول، فمثلًا، الجملة "أشعر بالبرد الشديد" قد تتضمن فعلًا إنجازيًا غير مباشر هو "طلب المساعدة". (حمو الحاج، 2012م، ص132)

وهكذا، فإن الفعل الكلامي هو إنجاز يتحقق من خلال مستوياته الثلاثة المتداخلة.

ويعتمد الناقد التداولي في تحليل النص الأدبي على استخلاص الأفعال الكلامية التي يتضمنها النص، ثم تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

- الأفعال القضوية: وهي الأفعال التي تعبر عن حقيقة أو رأي، مثل: "الشمس مشرقة".
- الأفعال الإنجازية الخبرية: وهي الأفعال التي تؤدي فعلًا ما في العالم الخارجي، مثل: "أطلب منك أن تفتح الباب".
- الأفعال السياقية: وهي الأفعال التي تعتمد على السياق لتوضيح معناها، مثل: "أشعر بالبرد الشديد". (حمو الحاج، 2012م، ص139-140)

كما يعتمد الناقد التداولي في تحليل النص الأدبي على تصنيف الجمل الأدبية حسب سياقها ومقامها الوظيفي والتداولي والمقصدي.

المبحث الرابع- القصدية والنص الأدبي:

اهتمت الدراسات التداولية بالمتكلم باعتباره صاحب السلطة، الذي يوجه للمخاطب مجموعة من الأوامر التي يجب على المخاطب تنفيذها دون تردد أو مناقشة. ويسمى هذا بالتواصل التوجيهي، لكن هناك من رفض هذا التصور الميكانيكي، وعدَّ المقصدية قاسمًا مشتركًا بين المتكلم والمخاطب، ولا فرق بينهما إلا من حيث الأخذ بزمام المبادرة (الرحيمان، 2023، ص69)

وهناك من يرى أن المقصدية قد يتحكم فيها المتلقي، فيجعل المتكلم في قبضة يده، ويتصرف فيه كيفما يشاء، ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقي، وهكذا، فإن المقصدية هي العنصر الأساسي الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية. (مفتاح، 1987م، ص38)

ويمكن القول إنّ النص الأدبي، بوصفه جملًا وملفوظات لغوية، يتضمن مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعبر عنها المتكلم أو المتلقي أو كليهما؛ فالمتكلم، وهو في هذه الحالة الكاتب أو الشاعر، قد يعبر عن بعض المقاصد المباشرة، مثل الحب والخوف والاعتقاد والتمني والكراهية، أما المتلقي، وهو القارئ أو المستمع، فيجب عليه فهم مقاصد المتكلم، والتعرف على ظروفه وحالاته النفسية والذهنية والوجدانية. (نحلة، 2002م، ص85)

وغالبًا ما يتم التعبير عن هذه المقاصد من خلال كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة، ففي بعض الحالات، تكون المقاصد واضحة بشكل مباشر، مثل الجملة "أنا أحبك"، وفي حالات أخرى، تكون المقاصد مضمرة، وتحتاج إلى فهم السياق أو الدلالات الرمزية. (نحلة، 2002م، ص34)

وبناء على ذلك، فإنّ النص الأدبي هو تعبير عن قصد المتكلم، ويحتاج المتلقي إلى فهم هذا القصد لاستكشاف جماليات النص، كما أن النص الأدبي والخطاب الإبداعي، وفق المقاربة التداولية، نتاج مقصود من قبل المتكلم، يعتمد على السياق لإبراز أفكاره ومشاعره. لذا، ينبغي للمتلقي استحضار هذا السياق، عند تأويل النص، حتى يتمكن من فهمه بشكل صحيح.

المبحث الخامس- التفاعلية والنص الأدبي:

وفقًا للنظرية التفاعلية، يعتمد النص الأدبي على التفاعل بين المتكلم والمتلقي، وهذا التفاعل يمكن أن يكون إيجابيًا أو سلبيًا، ويعتمد على عوامل مثل السلطة، والتفاوت الاجتماعي والمعرفي والطبقي (حسين، 2024م، ص112-113)

ويمكن أن يكون المتكلم هو صاحب السلطة التفاعلية ما يعني أنه يتحكم في مسار التفاعل، كما يمكن أن يكون المتلقي هو صاحب السلطة التفاعلية، وهذا يشير إلى أنه يتحكم في مسار التفاعل، وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يكون المتكلم والمتلقي مشتركين في السلطة التفاعلية، ما يعني أنهما يتعاونان في مسار التفاعل. (حمداوي، د.ت، ص28)

وهكذا، فإن النص الأدبي هو نتاج تفاعل بين المتكلم والمتلقي، ويعتمد على عوامل مختلفة لتحديد طبيعة هذا التفاعل.

وفي هذا الشأن يقول محمد مفتاح: "نقصد بالتفاعل علاقة المرسل بمتلقيه، سواء أكان ذلك المتلقي فردًا أو جماعة، موجودًا بالفعل أو بالقوة، ومن شأن هذه العلاقة أن تسلب السلطة المطلقة من المرسل على إصدار خطابه بعجرفة أو لامبالاة نحو الآخرين، وأن تدخله في دائرة القواعد الضمنية أو العلانية، وأن تجعله يكيف خطابه على قدر متلقيه ليحصل التفاعل، وكسب استمالة المتلقي، ونيل رضاه، ونظرية التكيف هذه تتيح لنا معرفة السبب في تلون خطاب مؤلف واحد، فقد يكون من عادة الإجادة، واستعمال أساليب راقية، وصور غريبة". (مفتاح، 1987م، ص5-51)

والفرق بين النظرية الإبلاغية والنظرية التفاعلية أن الأولى تهدف إلى نقل المعلومات، أما النظرية التفاعلية فتسعى إلى توطيد العلاقات الاجتماعية بين الطرفين المتحاورين. (حمداوي، د.ت، ص28)

وقد فرّق بينهما (محمد خطابي) بقوله:" يقصد بالوظيفة التفاعلية قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية، على أن هذه الوظيفة الثانية تكتسي صبغة خاصة باعتبار أنه لا يهدف من ورائها إلى نقل المعلومات، وإنما إلى تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها". (خطابي، 1991م، ص48)

ويضيف: "إضافة إلى ذلك، فهي تعبر عن هذه العلاقات الاجتماعية والآراء والمواقف الشخصية والتأثيرات المرغوب إحداثها في العقيدة أو الرأي أو ماشابه ذلك، فمن الطبيعي – إذاً -أن يهتم بهذه الوظيفة علماء الاجتماع وعلماء الاجتماع اللغوي ودارسو التخاطب وأضرابهم. (خطابي، 1991م، ص48)

بناءً على ذلك، يمكن دراسة النص الأدبي، ولاسيما النص المسرحي، في ضوء النظرية التفاعلية، فحوارات الشخصيات في المسرحية تعكس تفاعلهم مع بعضهم البعض وتبادلهم المعلومات والأفكار والمشاعر. (حمداوي، 1991م، ص29)

المبحث السادس- المحاجة أو الحجاج:

ترى التداولية الحجاجية أن النص أو الخطاب عبارة عن مجموعة من العلاقات اللغوية التي تربط بين ملفوظاته، ووفق هذه المقاربة، فإن البعد التداولي للملفوظ موجود في اللغة نفسها، وليس مرتبطًا بسياق التلفظ، وعليه، فإن العلاقات الموجودة بين الملفوظات هي علاقات حجاجية، وليس منطقية استنباطية، بمعنى أن القواعد الحجاجية هي التي تتحكم في ترابط ملفوظات النص، وتسلسلها في علاقاتها بمعانيها. (حمو الحاج، 2012م، ص136-137)

وتشمل الروابط الحجاجية مجموعة من العناصر اللغوية، مثل: الضمائر، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وروابط الإثبات والنفي، والاستنتاج، والاستدراك؛ ولذلك، يتحقق تواصل الملفوظات عبر أفعال الكلام، وليس عبر الصفات، كما أن فهم الملفوظ يعني فهم أسباب تلفظه. (حمداوي، د.ت، ص29)

وبناءً على ذلك، فقد اهتم أوزوالد دوكرو Oswald Ducro بالروابط التعبيرية التي تخلق اتساق النص وانسجامه، كما اهتم كذلك بالتمفصلات اللغوية التي تساهم في خلق النص الحجاجي برهنة واستدلالًا وترابطًا وهيكلة. (حمداوي، د.ت، ص30)

فالحجاج هو عملية تهدف إلى الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب، وهو فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، وهناك نوعان من الحجاج: حجاج واقعي وحجاج لغوي.

والحجاج الواقعي يعتمد على الحجج الواقعية، مثل الأدلة والحقائق والمعطيات. ويمثل هذا الاتجاه كل من أوزوالد دوكرو Oswald Ducro وأنسكومبر Anscomber، والحجاج اللغوي يعتمد على الروابط اللغوية في عملية الإقناع والمحاججة، ويتم التركيز عند دوكرو Oswald Ducro على منطق الكلام، وذلك باستكشاف القواعد الداخلية للخطاب التي تتحكم في ترابط النص وتسلسله واتساقه وانسجامه. (حمداوي، د.ت، ص30)

وبناء على ما سبق، فالحجاج موجود في داخل اللغة وعبرها وفي بنيتها الضمنية، كما أن الجملة كمورفيمات ومونيمات وتعابير وصيغ، بالإضافة إلى محتواها القضوي الإخباري يمكن أن توجه للمتلقي تأثيرات إقناعية حجاجية سلبية أو إيجابية. (حمداوي، د.ت، ص30)

ومن هنا، يمكن مدارسة النص الأدبي في ضوء المقاربة الحجاجية، عن طريق استكشاف الروابط الحجاجية اللغوية التي تتحكم في بناء النص وترابطه، مع توضيح البعد الحجاجي والإقناعي في النص، وذلك بالتشديد على السلم الحجاجي الذي يعنى بدراسة مسار الحجاج انطلاقا من قول الحجة إلى نتيجتها، مع تبيان طريقة التلازم، والتعاقد، وسلّم التفاضل بين الحجج من حيث القوة والضعف، والكم، والكيف...إلخ. (حمداوي، د.ت، ص30)

المبحث السابع- الحوارية والنص الأدبي:

تعرف فرانسواز أرمينكو (Françoise Armengaud) الحوارية بأنها:" مكون لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين تلفظيتين توجدان في علاقة حالية، ويقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية: كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لابد من أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصاتة وثنائية العرض، على حد تعبير فرانسيس جاك، وإن كل كلام إلا وله مالكان تقريبيان، وربما كان من المضبوط القول بأن سيدة الكلام الحواري هي العلاقة التخاطبية ذاتها". (أرمنيكو، 1987م، ص112)

فالملفوظ التخاطبي له معنى فقط، إذا تم وضعه في سياق الحوار بين المتحاورين؛ لأن كل منهما يمتلك علاقات حوارية وتخاطبية مع الآخر، وبناءً على ذلك، فإن الحوارية تقوم على عرض الملفوظات المتبادلة بين المتحاورين، بحيث تترابط الحوارات الحالية مع الحوارات السابقة والحوارات اللاحقة.

وتحقق الحوارية مجموعة من الوظائف والأهداف، منها:

1. تمنح التلفظ طبيعة نسبية وتفاعلية، فلا يكون معنى الملفوظ ثابتًا، بل يتغير حسب السياق الحواري.
2. تتحكم الحوارية في نشاطي القول والفهم عند المتكلمين، بحيث لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض.

تتحكم الحوارية في الدلالة العميقة للتلفظ، بحيث تحدد آلية الإحالة والمضمون القضوي والقوة الإنجازية للجملة في وضعية تخاطبية معينة. (أرمنيكو، 1987م، ص112)

وبناءً على ذلك، فإن الحوارية لا تقتصر على الجملة، بل تتجاوزها إلى العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمتلقي، فهذه العلاقة تقوم على السؤال والجواب، كما أنها تتضمن إحالة على الأشخاص وإحالة على العالم سياقًا ومقامًا.

أما فيما يخص الحوارية المتعددة في الأدب، فهي تتميز بعدة سمات، منها:

- تعددية الأطروحات والأفكار والإيديولوجيات ووجهات النظر.
- تعدد الرواة والسراد.
- تعدد اللغات واللهجات والأساليب.
- اعتماد السخرية والباروديا والتهجين والأساليب والتناص. (حمداوي، د.ت، ص35)

ومعنى ذلك أنها رواية تفاعلية نسبية، تمنح القارئ دورًا نشطًا في عملية التلقي، فهي تدعو إلى دمقرطة السرد والرؤية والإيديولوجيا، بحيث لا تكون هذه العناصر مقتصرة على المبدع، بل يمكن للقارئ أن يشارك في صياغتها. (حمداوي، د.ت، ص35)

المبحث الثامن- السياق والنص الأدبي:

يرى كل من (براون) و(يول) Paul&Brown أن السياق هو مجموعة من العناصر المهمة التي يجب مراعاتها عند تحليل النص وتفسيره، وتشمل هذه العناصر:

- المتكلم، وهو الشخص الذي يصدر النص.
- المخاطب، وهو الشخص أو الأشخاص الذين يوجه إليهم النص.
- السياق، أي الظروف التي تم فيها إصدار النص، بما في ذلك الزمان والمكان. (خطابي، 1991م، ص52-53)

ويشير (براون) و(يول) Paul&Brown إلى أن السياق يؤدي دورًا مهمًا في تحديد معنى النص، فقد يؤدي القول الذي قيل في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين.

ويتفق (هايمسHymes) مع (براون) و(يول) Paul&Brown في أن السياق يلعب دورًا مهمًا في التأويل، ولكنه يضيف أن للسياق وظيفة مزدوجة، وهي:

1. تقييد مجال التأويل: أي تحديد مجموعة التأويلات الممكنة للنص.
2. دعم التأويل المقصود: أي تقديم أدلة تدعم تأويلًا معينًا للنص. (خطابي، 1991م، ص53)

وصنف (هايمس Hymes) السياق إلى العناصر التالية:

1. المرسل، أي الشخص الذي يصدر النص.
2. المتلقي، أي الشخص أو الأشخاص الذين يوجه إليهم النص.
3. الحضور، أي الأشخاص الآخرون الذين قد يكونون حاضرين أثناء إصدار النص.
4. الموضوع، أي الموضوع الذي يتحدث عنه النص.
5. المقام، ويقصد به الزمان والمكان الذي تم فيه إصدار النص.
6. القناة، وتمثل الطريقة التي تم بها إصدار النص، مثل الكلام أو الكتابة.
7. النظام، أي اللغة أو اللهجة التي تم بها إصدار النص.
8. شكل الرسالة، أي الشكل الذي تم به التعبير عن النص، مثل الخطاب أو الحوار أو القصة.
9. المفتاح، ويشير إلى الإطار الذي يتم فيه تفسير النص، مثل الإطار الجدلي أو الإطار الترفيهي.
10. الغرض، أي الغرض الذي تم به إصدار النص، مثل الإقناع أو التثقيف أو الترفيه. (خطابي، 1991م، ص53)

أما (ليفيسLevis) فيحصر السياق في العناصر التالية:

1. العالم الممكن: مجموعة الفرضيات التي تشكل خلفية النص.
2. الزمان: الزمان الذي يتم فيه إصدار النص.
3. المكان: المكان الذي يتم فيه إصدار النص.
4. الحضور: أي الأشخاص الآخرون الذين قد يكونون حاضرين أثناء إصدار النص.
5. الشيء المشار إليه: الشيء الذي يتحدث عنه النص.
6. الخطاب السابق: أي النصوص التي سبقت النص الذي يتم تحليله.
7. التخصيص: أي الطرق التي يتم بها تخصيص النص لمجموعة معينة من الأشخاص أو الظروف. (خطابي، 1991م، ص54)

فالسياق يؤدي دورًا مهمًا في فهم النص وتفسيره؛ لأنه يوفر إطارًا لفهم معنى النص وتحديد التأويلات الممكنة له، بالإضافة إلى ذلك، فإنه يسهم تحقيق اتساق النص وانسجامه، ويؤكد محمد خطابي على ذلك بقوله: "إن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، فكثيرًا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته)، ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظرفًا) تجعله غامضًا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم، فإن للسياق دورًا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه". (خطابي، 1991م، ص56)

ويعني هذا أن النص الأدبي لا يمكن أن يبقى منغلقًا على ذاته، منطويًا على بنياته السيميائية أو الصورية المجردة، بل عليه أن ينفتح على العوالم السياقية المتعددة الدلالات؛ إذ لابد أن يخضع لمبدأ التأويل السياقي، وذلك من خلال الانفتاح على السياق النصي الداخلي، والسياق الخارجي المتعدد الأبعاد.

وينقسم السياق حسب ما أشار إليه (باريتBarrett) إلى:

أ. السياق النصي: وهو تجاوز الجملة إلى سياق الخطاب.

ب. السياق الوجودي: وهو الإشارة إلى أشياء العالم الخارجي.

ج. السياق المقامي: وهو مجموعة من السياقيات الموقفية والاجتماعية والزمانية والمكانية والمؤسساتية.

د. سياق الفعل: وهو سياق نظرية الأفعال اللغوية.

هـ. السياق النفسي: وهو إدماج الحالات الذهنية والنفسية. (حمداوي، د.ت، ص37)

ولا يكتفي الناقد بهذا، بل لابد من إبراز عناصر السياق التي تتمثل في:

1. المرسل: وهو الشخص الذي أصدر النص.
2. المرسل إليه: وهو الشخص أو الأشخاص الذين وجه إليهم النص.
3. العناصر المشتركة بينهما من معرفة مشتركة: وهي معرفة عامة بالعالم، ومعرفة بنظام اللغة، ومعرفة بالزمان والمكان، وعلاقة اجتماعية تفاعلية. (الشهري، 2004م، ص57)

المبحث التاسع- الإحالة والنص الأدبي:

إنّ النص الأدبي هو إحالة إلى مرجع ما، سواء كان هذا المرجع داخل النص أو خارجه، أو في العالم الواقعي، ولا يمكن فهم النص الأدبي بوصفه وحدة عضوية متسقة ومنسجمة إلا إذا راعينا مفهوم الإحالة في تحليله (المحمد، 2024، ص4)

وقد تحدث هاليداي وحسن Hassan& Halliday في كتابهما "الاتساق في اللغة الإنجليزية" (1976م) عن الإحالة كثيرًا، واعتبراها مظهرًا من مظاهر اتساق الخطاب اللغوي. ورأوا أن الإحالة هي علاقة دلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، بحيث لا يمكن فهم العنصر المحيل إلا من خلال الرجوع إلى العنصر المحال إليه.

وقسم هاليداي وحسن Hassan&Halliday الإحالة إلى ثلاثة أنواع:

- الإحالة المقامية: وهي إحالة إلى خارج النص، مثل الإحالة إلى العالم الخارجي، أو إلى ثقافة مشتركة بين المرسل والمتلقي.
- الإحالة النصية: وهي إحالة إلى داخل النص، مثل الإحالة إلى شخصيات أو أحداث أو موضوعات سبق ذكرها في النص.
- الإحالة التداولية: وهي إحالة إلى العلاقة بين المرسل والمتلقي، مثل الإحالة إلى مشاعر أو آراء أو أفعال المرسل أو المتلقي.

ويرى (هاليداي ورقية حسن) Hassan&Halliday أن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام. أما الإحالة النصية والتداولية فتقومان بدور هام في اتساق النص وترابطه تماسكًا وانسجامًا. (خطابي، 1991م، ص16-17)

المبحث العاشر- التأويل السياقي في النص الأدبي:

يتميز النص الأدبي عن الأقوال العادية بالعديد من الخصائص، منها:

- استخدام اللغة الشعرية والتخيلية؛ إذ يستخدم الكاتب في النص الأدبي لغة جميلة وغنية بالمعاني، كما يستخدم الصور والرمزيات والإشارات.
- قوة الانزياح والخرق والترميز والأسطرة؛ إذيعمد الكاتب إلى الخروج عن السياق العادي للغة، واستخدام أساليب فنية مثل الانزياح والخرق والترميز والأسطرة.
- الكثافة البلاغية المعقدة والمتشابكة؛ فالنص الأدبي يتميز بكثافة الدلالات والأفكار ما يجعله يحتاج إلى قراءة متأنية وتفسير عميق. (حمداوي، د.ت، ص39)

وهذا كله يتطلب من القارئ أو الناقد الأدبي أن يمتلك القدرة على فهم هذه الخصائص، وفكك الدلالات التي يحملها النص، وذلك في ضوء المقصدية والسياق والإحالة (حيدري وآخران، 2024، ص73)

وعلى هذا الأساس، فإن الدارس للنص الأدبي لابد من مراعاة هذه العناصر الثلاثة في عملية التأويل، سواء كان التأويل تفكيكيًا أو تركيبيًا. (خطابي، 1991م، ص56)

المبحث الحادي عشر- التداولية وقضية التلفظ في المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني.

تعد المقامات من الأشكال الأدبية الفنية التي نشأت وتطورت في الحضارة العربية الإسلامية، وتتميز بكونها تجمع بين السرد والحوار والشعر ما يجعلها شكلًا أدبيًا متميزًا؛ إذ تتناول مواضيع متنوعة تعكس حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم، وتعرف المقامة بأنها: نوع من أنواع النثر الأدبي، تتميز بطولها القصير وقدرتها على استيعاب مختلف الأفكار، سواء كانت أدبية، أو فلسفية، أو وجدانية أو غير ذلك، فهي حكاية قصيرة ذات أسلوب أنيق تشتمل على عبرة أو عظة (الهلال، 1962، ص223).

- التّداولية وعلاقتها بالتفلظ في المقامة الحرزية:

تعتمد التداولية في النص على تفاعل النص مع القارئ عبر السياق التواصلي (وصف البيئة والشخصيات)، وأصوات الشخصيات (تلفظ الراوي والإسكندراني)، والأفعال الكلامية (طلب، وعد، تفسير)، واستخدام الشعر (كأداة تداولية)، فهذه العناصر تجعل النص أكثر ديناميكية وتفاعلاً ما يُبرز عبقرية بديع الزمان في خلق نص يُحاكي أبعاد الحياة الإنسانية. ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

1- التداولية والسياق التواصلي:

ويتجلى ذلك من خلال:

- السياق الاجتماعي والثقافي: يعكس النص بيئة بحرية تجارية، وهي بيئة مشبعة بالخطر والغموض، ويظهر ذلك في وصف البحر بـ"وثّاب بغاربه" والسفن بـ"عسّاف براكبه"، وهذه التعابير لا تصف فقط البيئة بل تثير في القارئ إحساسًا بالخطر والتحدي ما يجعله يتماهى مع التجربة، وفي قوله: "استخرنا الله في القفول، وقعدت من الفلك بمثابة الهلك" يوضح هذا السياق استعانة الإنسان بالله في مواجهة مصير مجهول.
- السياق النفسي والشخصي: يوضح النص التأثير النفسي للأحداث على الركاب الذين واجهوا ظروفًا بحرية قاسية؛ فاستخدام الأفعال مثل "لا نملك عدةً غير الدعاء، ولا حيلةً إلا البكاء" يعكس حالة الضعف والاستسلام، وهذا التوصيف النفسي يضع القارئ في قلب المعاناة.

2- قضية التلفظ وأصوات الشخصيات:

ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

- الراوي والتلفظ: عيسى بن هشام هو الراوي الرئيسي الذي ينقل الأحداث بلغة تصويرية وبلاغية؛ فدوره يتجاوز مجرد السرد إلى خلق علاقة بين الشخصيات والقارئ، فمثلًا عندما يقول: "فقلنا له: ما الذي أمّنك من العطب؟" فإنّ هذه الجملة تضع الراوي والمستمع في نفس الموقف المتسائل ما يعزز المشاركة التداولية.
- الشخصيات الثانوية: تتميز شخصية الرجل الإسكندراني بأسلوب مميز في التلفظ؛ إذ يقدم نفسه كرجل حكيم يملك حلاً للأزمة ما يلفت الانتباه إليه كشخصية تداولية رئيسية؛ ففي قوله: "حرز لا يغرق صاحبه، ولو شئت أن أمنح كلًا منكم حرزًا لفعلت" فإن هذه العبارة تلفظية بامتياز، إذ تجمع بين الوعد والإغراء ما يزيد من هيمنة هذه الشخصية.

3- الأفعال الكلامية في النص:

أعطت الأفعال الكلامية بُعدًا تداوليًا للمقامة، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

- أفعال الطلب والإقناع: استخدم الإسكندراني أسلوبًا مقنعًا للحصول على المال؛ إذ يربط بين الحرز والنجاة، ويضع شرطًا ماديًا لتحقيقه، فعندما يقول: "لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم دينارًا الآن، ويعدني دينارًا إذا سلم" فإنّه يستعمل أسلوب الإلحاح والمساومة ما يُبرز البعد التداولي للموقف من حيث التأثير والإقناع؛ إذ إن عبارته تجمع بين وعد مشروط واستراتيجية نفسية تستثمر في حالة الخوف والاضطراب التي يعيشها الركاب، فالإسكندراني لا يقدم لهم مجرد أمل في النجاة، بل يُظهر نفسه كمالك للحل الوحيد ما يخلق توازنًا غير متكافئ في السلطة الخطابية، وهذا الأسلوب يجعل الركاب يستسلمون لمطالبه دون نقاش، وهو ما يُبرز استخدامه الذكي للغة كوسيلة للهيمنة والسيطرة في لحظة حرجة.
- أفعال الوعد والتعهد: عندما يتفاعل الركاب مع طلبه بالوعد والدفع فإنّ ذلك يظهر دور العلاقات التعاقدية في النص، ففي قوله: "فنقدناه ما طلب، ووعدناه ما خطب" فإنّ الفعلان "نقد" و"وعد" يوضحان ديناميكية التفاعل بين الأطراف.
- أفعال التفسير والشرح: ويتجلى ذلك عندما طلب الراوي تفسيرًا لحالة الرجل النفسية؛ فأجاب بتفسير فلسفي يستند إلى الصبر والتدبير بقوله: "أنا من بلاد الإسكندرية، فقلت: كيف نصرك الصبر وخذلنا؟ فأجاب بالشعر".

4- البنية الشعرية ودورها التداولي:

في نهاية النص يتم استخدام الشعر كوسيلة للتواصل الفلسفي مع القارئ؛ فالأبيات توضح فلسفة الصبر والثبات ما يترك أثرًا تداوليًا قويًا، ويظهر ذلك في قوله: "ويك لولا الصبر ما كنتُ ملأتُ الكيسَ تِبرًا"؛ ففي البيت الأول يُظهر القائل قيمة الصبر في تحقيق النجاح ما يجعل القارئ يتأمل في معاني الحياة والمواقف.

ويوضح الجدول الآتي تصنيفًا للأفعال الكلامية وفقًا للشخصيات الأساسية في النص، ووظيفتها التداولية وتأثيرها على الحوار:

جدول (1) تأثير الأفعال الكلامية وفقًا للشخصيات في المقامة الحرزية)

الشخصية	نوع الفعل الكلامي	مثال من المقامة	التأثير التداولي
الراوي (عيسى بن هشام).	الاستفهام البلاغي.	"ما الذي أمّنك من العطب؟"	يعزز مشاركة القارئ، ويخلق تفاعلًا تداوليًا مع الشخصيات الأخرى.

الشخصية	نوع الفعل الكلامي	مثال من المقامة	التأثير التداولي
أبو الفتح الإسكندري.	الوعد والإغراء.	"حرزلا يغرق صاحبه، ولو شئت أن أمنح كلًا منكم حرزًا لفعلت"	يخلق سلطة خطابية ويوظف استراتيجية الإقناع لاستدراج الركاب.
أبو الفتح الإسكندري.	الطلب والمساومة.	"لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم دينارًا الآن، ويعدني دينارًا إذا سلم".	استغلال الخوف كوسيلة ضغط، وإدخال الجانب المادي في التفاعل.
الركاب.	القبول والاستسلام.	"فنقدناه ما طلب، ووعدناه ما خطب".	تأكيد نجاح استراتيجية الإقناع التي استخدمها الإسكندراني، وتحول الموقف من الرفض إلى القبول.
أبو الفتح الإسكندري.	التفسير الفلسفي عبر الشعر.	"لولا الصبر ما كنتُ ملأتُ الكيسَ تِبرًا".	يغيّر مسار التفاعل من كونه قائمًا على النجاة إلى رؤية فلسفية للحياة والصبر.

وبناء على الجدول السابق، نلاحظ أن الأفعال الكلامية في المقامة الحرزية تتوزع وفق استراتيجية تداولية محكمة بحيث تتغير طبيعتها تبعًا لتطور الأحداث وتفاعل الشخصيات؛ ففي البداية، تسود أفعال الاستفهام والتعبير عن القلق ما يعكس حالة التوتر والخوف التي يعيشها الركاب، ومع ظهور الإسكندراني، يتحول الخطاب إلى أفعال الإغراء والوعد والمساومة إذ يسعى لفرض هيمنته من خلال استغلال حاجتهم للأمان وهذا الأمر يبرز دوره كمتحدث مسيطر يمتلك زمام الحوار.

كما يتضح من الجدول إنّ استجابة الركاب للأفعال الكلامية تُظهر تحولًا تدريجيًا من الرفض أو التردد إلى القبول والاستسلام، وهو ما يعكس نجاح استراتيجية الإسكندراني في التأثير عليهم عبر استخدامه لأساليب الإقناع القائمة على الترغيب والترهيب.

أما في المرحلة الأخيرة، فتتحول طبيعة الأفعال الكلامية إلى التأمل الفلسفي؛ إذ يستخدم الإسكندراني الشعر والحكمة لخلق تأثير نهائي على المتلقي ما ينقل المقامة من كونها مجرد حكاية عن النجاة إلى مستوى أعمق من التفكير حول مفاهيم مثل الصبر والقدرة على استغلال الفرص. وبذلك، يمكننا القول إن الأفعال الكلامية ليست مجرد أدوات للتواصل بين الشخصيات، بل هي آليات تُوظَّف بذكاء لتوجيه سير الأحداث، وإبراز البنية الجدلية داخل النص، وتعزيز الأثر التداولي للمقامة على القارئ.

ويظهر الشكل الآتي هذا التسلسل في الأحداث:

الشكل (1) ديناميكية الأفعال الكلامية وتأثيرها على الشخصيات في المقامة الحرزية)

وبناء على الشكل التسلسلي السابق للأحداث، يظهر أنّ الأفعال الكلامية في المقامة الحرزية تتبع مسارًا ديناميكيًا يعكس تصاعد التوتر ثم انحساره عبر مراحل محددة.

ففي بداية المخطط، تسيطر الأفعال التي تعبر عن القلق والاستفهام؛ إذ يسود خطاب الخوف والتوجس بين الركاب ما يعكس حالة عدم اليقين في مواجهة الخطر، ومع دخول الإسكندراني إلى المشهد، نلاحظ تحولًا تدريجيًا في طبيعة الأفعال الكلامية، فيصبح هو صاحب المبادرة في الخطاب مستخدمًا أفعال الوعد والإغراء والمساومة، وهو ما يظهر استراتيجيته في فرض سلطته وإقناع الآخرين بقبول عرضه.

ويشير المخطط أيضًا إلى أن الركاب، الذين بدأوا بحالة من الاضطراب والتردد، يخضعون تدريجيًا لسلطة الإسكندراني، ويتحول خطابهم إلى أفعال القبول والتسليم، وهو ما يعكس نجاحه في استثمار الأوضاع النفسية لصالحه، ومع نهاية الأحداث، ينتقل الخطاب إلى مستوى تأملي، وفي هذه المرحلة، تتراجع هيمنة الأفعال الإقناعية لتحل محلها أفعال الحكمة والتفسير التي يقدمها الإسكندراني عبر الشعر ما يضفي بُعدًا تداوليًا أعمق على المقامة، ويترك أثرًا في المتلقي.

وبالتالي، يوضح الشكل أن الأفعال الكلامية ليست ثابتة، بل تتطور بناءً على السياق التداولي، مؤثرةً على مسار الشخصيات والأحداث ما يعزز البنية الجدلية للنص ويدعم أسلوب بديع الزمان في خلق حوار درامي محكم.

الخاتمة.

خلاصة بأهم الاستنتاجات.

بعد استعراض مفهوم التلفظ، علاقته بالتداولية، وتأثيره على النص الأدبي من زوايا نظرية متعددة، يمكنني تلخيص الاستنتاجات في النقاط التالية:

1. التلفظ ليس مجرد عملية لغوية، بل هو نتاج تفاعلي بين المتكلم والسياق الاجتماعي المحيط، ويظهر ذلك من خلال العلاقة بين الملفوظ والتلفظ؛ إذ لا يمكن فهم النص دون سياقه المتكامل، كما أكّد ميخائيل باختين.
2. تتقاطع التداولية مع نظرية التلفظ في دراسة العلاقات بين النصوص والسياقات التي تُنجَز فيها؛ فالتداولية تضيف أبعادًا وظيفية للنصوص عبر تحليل الأفعال الكلامية بمستوياتها المختلفة وتأثيرها على التواصل الإنساني.
3. تؤثر الذات المتكلمة بوضوح على النصوص من خلال خياراتها اللغوية والبنائية ما ينعكس على الرسالة المراد إيصالها؛ فاللّغة تعكس موقف المتكلم وتوجهاته، وهو ما يُبرز أهمية التفريق بين النص المنتج وسياق إنتاجه.
4. النص الأدبي لا يقتصر على كونه وسيلة للتعبير أو نقل المعلومات، بل يشكّل فعلًا كلاميًا يهدف إلى إحداث تغيير فكري وعاطفي عند المتلقي، ويتضح ذلك من خلال استثمار الروابط الحجاجية والتفاعلات اللغوية لتحقيق الإقناع.
5. يعكس النص الأدبي، ولا سيما المسرحي، ديناميكية التفاعل بين المتكلم والمتلقي، وهذا التفاعل قد يكون مبنيًا على السلطة أو المساواة؛ إذ تُشكّل النصوص وسيلة لتعزيز العلاقات الاجتماعية أو إعادة تعريفها.
6. تمثل المقامة الحرزية نموذجًا أدبيًا متميزًا يكشف العلاقة الوثيقة بين التداولية والتلفظ؛ فهي نص أدبي قائم على تفاعل مركب بين المتكلم (الراوي أو البطل) والمخاطب (المتلقي أو المستمع) ضمن سياق اجتماعي وثقافي محدد؛ إذ يتضح في هذه المقامة استخدام المعينات الإشارية مثل ضمائر المتكلم والمخاطب، وأسماء الإشارة، والظروف الزمانية والمكانية، والتي تؤطر النص ضمن سياق تداولي يعبر عن توجهات الذات المتكلمة ومقاصدها، علاوة على ذلك، توظف المقامة الحرزية آليات التلفظ عبر بنية سردية تتداخل فيها الأفعال الكلامية (مثل الشكر، والتحذير، والتوبيخ) التي تُوظف للتأثير على المتلقي وإقناعه، وهذا التداخل يعكس القصدية التي تتحكم في النص، سواء من حيث اختيار الألفاظ أو تنظيم الأحداث بطريقة تستدعي استجابة تأويلية من المتلقي.
7. الأفعال الكلامية ليست ثابتة في المقامة، بل تتطور بناءً على السياق التداولي، مؤثرةً على مسار الشخصيات والأحداث ما يعزز البنية الجدلية للنص ويدعم أسلوب بديع الزمان في خلق حوار درامي محكم.

التوصيات والمقترحات.

بناء على نتائج البحث يوصي الباحثان ويقترحان ما يلي:

1. التركيز على التحليل الحجاجي للنصوص الأدبية وغير الأدبية لفهم أفضل للوسائل الإقناعية المستخدمة ولتطوير مهارات النقد والتفسير الأدبي.
2. إدخال مفاهيم التلفظ والتداولية في مناهج اللغة العربية والآداب لتطوير قدرة الطلاب على فهم النصوص وتحليلها في سياقاتها المختلفة ما يعزز من قدرتهم على التواصل الفعّال.
3. إجراء دراسات مقارنة بين النظريات الأدبية الحديثة لفهم أعمق للعلاقة بين اللغة والسياق الاجتماعي لاسيما في النصوص الأدبية.

قائمة المراجع.

أولًا: المراجع بالعربية.

- أرمنيكو، ف .(1987) .*المقاربة التداولية* .(س. علوش، مترجم). مصر: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع .
- البحيري، أ. (2025). تداولية الأفعال الكلامية في الخطاب السردي في رواية وكالة عطية لخيري شلبي "ألإخباريات والتوجيهيات أنموذجًا ."*مجلة علوم اللغة والأدب*، 164-183 .
- برزيكو، ح .(2000) .*في الحوارية والتلفظية وتحليل الخطاب* .الجزائر: المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت- مخبر الخطاب التواصلي .
- بوقرة، ل .(2006) .*محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة* .الجزائر: منشورات باجي مختار .
- جلولي، ا. (2011). نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل .*مجلة الأثر*، (12)*10*، 51-60 .
- حسين، هـ. (2024). جماليات التلقي قراءة في نونية أبي البقاء الرندي .*مجلة علوم اللغة والأدب*، (12)*12*، 106-143 .
- حمداوي، ج. (د.ت) .*التداوليات وتحليل الخطاب* .جميع الدول العربية: شبكة الألوكة .
- حمو الحاج، ذ .(2012) .*لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب* .الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر .
- حيدري، ش.، صيداني، ع.، هوج، ب. (2024). ثلاثية الكلاسيم والسيميم والميتاسيميم في تشكيل الخطاب السردي على ضوء نظرية جوزيف كورتيس في قصيدة حلم من ماء للشاعر أديب كمال الدين .*مجلة بحوث في اللغة العربية*، (2)*16*، 70-85 .
- خطابي، م .(1991) .*لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي .
- الرحيمان، ر. (2023). أسس المقاربة التداولية للنص الأدبي .*مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث* (10)*3* ,

- الشهري، ع .(2004) .*استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* .بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة .
- صحراوي، م .(2008) .*التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي* .الجزائر: دار التنوير .
- الطبيبي، ك. (2021). لسانيات التلفظ وتحليل الخطاب الشعري، دراسة في المشيرات المقامية في مرثية مالك بن الريب .*مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، (1)*10*، 441-463 .
- المحمد، م. وآخرون. (2024). التماسك النصي في قصيدة أرِحْ ركابك للشاعر محمد مهدي الجواهري .*مجلة بحوث في اللغة العربية*، (2)*16*، 1-20.
- مفتاح، م .(1987) .*دينامية النص* (المجلد 1). لبنان: دار الكتاب العربي .
- نحلة، م. أ .(2002) .*آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* .القاهرة: دار المعرفة الجديدة.
- الهلال، م. غ .(1962) .*الأدب المقارن* (ط1). بيروت: دار الثقافة .
- الهمذاني، ب. ز .(2002) .*مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني* .(م. م. الدين عبد الحميد، محرر). الأردن: مهرجان القراءة للجميع- مكتبة الأسرة .

ثالثًا: المراجع بالإنجليزية:

- Agustini, C., & other. (2025). Open-access Benveniste-Saussure: A Never-Ending Affiliation Relationship. *Bakhtiniana São Paulo*, *20*(1), 1-35.
- Fayzulloyevna, N. M. (2023). PRAGMATIC VALUES IN PRONUNCIATION OF PHONETICALLY CHANGED WORDS. *International Journal Of Literature And Languages*, *3*(02), 63–67